

من ألف في الحجّ من علماء جبل عامل والبقاع

هادي حسن قبيسي

المقدّمة

إنّ الدور العلمي الذي مرّ على جبل عامل بمراحله الثلاث - حسب ما قسّمه وتعرّض إليه المؤرّخون - لا يخلو من دروس وعبر للأجيال .
ليس من العجيب ما يذكره المؤرّخون من أنّ جبل عامل المشهور قد أخرج عدداً كبيراً من أهل العلم والفضل والشعر والأدب ، بحيث لا يتناسب هذا الكم مع ضيق المساحة الجغرافية وعدد سكّان هذه المنطقة ، إذ بلغ عدد العلماء من الشيعة الإمامية فيه خمس مجموعهم في أنحاء العالم ، مع أنّها بالنسبة لباقي بلدان الشيعة أقل من عشر العُشر ، هذا ما ذكره الحرّ العاملي في كتابه أمل الآمل ، وعن بعضهم أنه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً ، وذلك في عصر الشهيد الثاني رحمته الله ، كما ذكره الأمين في أعيانه .

كان جبل عامل في مقدمة البلدان المحيطة به من بلاد الشام من حيث الشهرة العلمية ، خصوصاً في القرون الأخيرة ، حيث كان مهوى قلوب عشاق العلم والمعرفة ، ومركزاً من مراكز التدريس ، وكان يستقبل الطلاب من كلّ مكان ، لم ينقطع فيه العلم ولا انطفأ نوره إلا في فترات وجيزة كانت من آثار ما تخلفه

الحروب من دمار وخراب وتعطيل للمدارس والمعاهد.

كانت المدارس والمعاهد العلمية في جبل عامل أشبه بالكليات من المدارس، حيث كان يدرس فيها الفقه والأصول، والكلام والتوحيد، والمنطق والفلسفة، إضافة إلى العلوم العربية، كالنحو والصرف والبيان واللغة، بل وحتى علم الهيئة والحساب والجبر والطب والهندسة، وكان يؤمها الطلاب من الشيعة والسنة.

أما الزمن الذي بدأت فيه الحياة العلمية في جبل عامل فلا يمكن تحديده والجزم به، لفقْد المستندات والوثائق التاريخية، غير أن الذي يدور على الألسن وتتناقله الناس خلفاً عن سلف، قد أصبح في حكم الحقائق المقررة.

إن انتشار مذهب أهل البيت عليهم السلام والعمل بفقهم في جبل عامل بدأ في القرن الأوّل للهجرة وفي عصر الخلفاء، وذلك في الوقت الذي

نفي فيه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من الحجاز إلى الشام في عهد الخليفة عثمان، فشاءت الظروف والأقدار الإلهية أن يحل هذا الجليل في بلاد جبل عامل، ويغرس فيها علوم وفضائل أهل البيت عليهم السلام، حيث اتخذ لنفسه فيها مقامين، أحدهما في قرية

**فتدكّم بالبلاد أحمد باشا
الجزار، وفتك بمن قبض عليه من
العلماء، وهاجر من لم يقتل أو يسجن
إلى خارج البلاد**

الصرفند على ساحل البحر الأبيض المتوسط، والآخر في قرية ميس الجبل في الجهة الجنوبية الشرقية، وهما في جبل عامل، وله فيهما مسجدان أو مزاران عُرفا باسمه إلى يومنا هذا، ومنها انبعثت روح التشيع في بني عاملة، وانتشر حتى شمل جميع قراه.

ولاريب أن علماء هذه البلاد وفقهاءها كانوا على اتصال في القرون

الأولى بالأئمة الأبرار من أهل البيت عليهم السلام، وعنهم أخذوا أصول المذهب وفروعه^(١).

وجاء في كتاب أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل للحرّ العاملي في رواية طويلة يسندها إلى الإمام الصادق عليه السلام، ما مجمله: أنه يصف قوماً من شيعة أهل البيت عليهم السلام، ولما سئل عن مكان وجودهم؟ قال: بلدة بالشام... بأعمال شقيف أرنون، وبيوت تعرف بسواحل البحر، وأوطئة الجبال... الحديث.

ولا شك أنّ الضغط والاضطهاد الذي وقع على العلويين في العصرين الأموي والعباسي ألجأ من كان منهم في جبل عامل إلى التكتّم والتقيّة، درءاً للأضرار وخوفاً من الموت المحتم، ولذلك غمضت الأخبار وخفيت كثير من الحقائق ولم يصلنا من حوادث تلك الأيام إلا القليل منها، ولما انقضى العهد الأموي والعباسي استطاع الشيعة أن يجاهروا بمذهبهم في مختلف الأقطار.

وأقصى ما يذكره المؤرّخون أنه

في مطلع القرن السابع الهجري اشتهر جماعة من أهل العلم والفضل في جبل عامل، لكن لم يذكروا أنّ أحداً منهم أسّس مدرسة أو درس في معهد، بل كانوا يدرّسون ويتلقون الدروس تحت طي الحفاء والتكتم.

ويعتبر الدور العلمي الأوّل لجبل عامل ابتداءً بافتتاح أوّل مدرسة فيه حيث انتظم فيها التدريس بالمعنى المتعارف بشكل علني، ألا وهي مدرسة جزين، التي أنشأها الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي العاملي المعروف بـ«الشهيد الأوّل».

وازدهر العلم بمختلف أشكاله، وفتحت في جبل عامل أكثر من مدرسة، وبقي على هذا الحال حتى قتل زعيمه السياسي ناصيف بن نصار الوائلي في سنة ١١٩٥هـ - ١٧٨٠م، فتحكّم بالبلاد أحمد باشا الجزائر، وفتك بمن قبض عليه من العلماء، وهاجر من لم يُقتل

(١) انظر تاريخ جبل عامل لجابر آل صفا.

أو يُسجن إلى خارج البلاد، وشخص بعضهم إلى بلاد مختلفة كإيران والعراق والهند وغيرها من البلدان، وملت جبل عامل من العلماء إلا من أقعده العجز، فوقف التدريس

أغلقت المدارس، ونهبت

المكتبات وأحرق أكثرها في أفران عكا، وبقيت الأفران مشتعلة ثلاثة أيام من الكتب التي صودرت من مختلف مناطق جبل عامل

وأغلقت المدارس، ونهبت المكتبات وأحرق أكثرها في أفران عكا، وبقيت الأفران مشتعلة ثلاثة أيام من الكتب التي صودرت من مختلف مناطق جبل عامل، واستمرت الأوضاع على هذه الحال حتى أراح الله البلاد من الجزار، فهلك في عام ١٢١٩هـ - ١٨٠٤م، فتباشر الناس بموته، وتلاعب الشعراء بهجائه إلى أن آل الحكم إلى عبد الله باشا، فأعاد لأبناء جبل عامل حكم بلادهم وحباهم بالمنح الجزيلة، ثم عادت الحياة العلمية إليه بعد

الحمول والزوال.

وهذا ما يسمي بالدور العلمي الثاني لجبل عامل، وأول مدرسة أسست في هذا الدور هي مدرسة الكوثرية التي أسسها الشيخ حسن قبيسي، وبعدها أسست مدارس أخرى.

هذا مختصر عن الحياة العلمية في جبل عامل، وما تكشف الأحداث من المعاناة التي مرّ بها.

ولما خطر ببالي أن أحصي كل ما صنّفه علماء جبل عامل في الحجّ من مظانه، إحياءً لذكورهم وتخليداً للتراث العلمي، فوجئت بعدد قليل جداً من المؤلفات، فقلت في نفسي ليس هذا هو المعروف منهم من قلة التأليف والتصنيف، وعندها خطر الجواب ببالي أن أسبابه تعود إلى انعدام تراثنا الضخم الذي أحرق على يد الجزار أحمد باشا، وهذا ما يدلّ على أن كثيراً من المصنّفات لم تصل إلينا. بل العجب كيف بقي هذا النزر القليل ووصل إلينا بعد الذي جرى من المآسي على جبل عامل وعلمائه.

فكان عملي كالتالي: ترجمة حال كل مؤلف بإيجاز لإظهار مكانته العلمية وجهوده المبذولة، ثم ذكر ما صنّفه في الحجّ مع الإعراض عن مصنّفاته الأخرى.

الشيخ حسن بن زين الدين الجبعي العاملي - ابن الشهيد الثاني
* ولد سنة ٩٥٩هـ.

* تولّى رعايته السيد علي الصائغ العاملي، درس في جبل عامل على علمائها برهنة من الزمن حتى بلغ مرتبةً يعبط عليها.

* هاجر إلى العراق فدرس هو والسيد محمّد العاملي - صاحب المدارك - مدة قصيرة على المقدس الأردبيلي بأسلوب مختصر جداً، مما يدل على عمقه العلمي، مما حدا بأستاذه أن يتفرّس به وبزميله اشتهار صيتهما في الأوساط العلميّة، وكان كما توقعه.

* نال منه الشهادة العلمية، ثم عاد إلى موطنه عاكفاً على التدريس والتأليف، له عدّة مصنّفات أبرزها: «معالم الدين وملاذ المجتهدين» في الأصول والفقه.

* توفي سنة ١٠١١هـ ودفن في جُبع، وقبره معروف ومشهور.

* مناسك الحجّ استدلالي مختصر امتاز بفوائد علميّة^(١).

* انظر أمل الآمل ٥٧/١، أعيان الشيعة ٩٦/٥، رياض العلماء ٢٢٦/١،

الذريعة ٢٥٩/٢٢.

السيد حسن بن السيد هادي الصدر العاملي الكاظمي

* ولد في الكاظمية سنة ١٢٧٢هـ.

* نشأ في حجر والده ودرس عليه مقدمات العلوم، ثم أكمل دروسه على علماء الكاظمية إلى أن بلغ مبلغ العلماء، فعكف على التدريس والتأليف.

* وكان سبب سكنه الكاظمية هجرة جدّه في فتنة الجزائر المعروفة - التي

(١) وقد طبع في هذه المجلة عدد ١٥-١٧.

أشرنا إليها في المقدمة والآثار التي خلفتها وهذه واحدة منها - إلى إصفهان وسامراء ثم عاد إلى الكاظمية . له مصنّفات عديدة وفي مختلف العلوم أبرزها: «تأسيس الشيعة» .

* توفي سنة ١٣٥٤هـ في بغداد، وحمل نعشه إلى حرم الإمامين الكاظمين عليهما السلام فدفن في مقبرة والده في الصحن الشريف .
* آداب الحجّ وأسراره، كذا في الذريعة والأعيان، إلا أنه ورد في مقدمة تأسيس الشيعة: ١٦ بعنوان «منى الناسك في المناسك» .
* انظر أعيان الشيعة ٣٢٦/٥، الذريعة ١٦/١ .

الشيخ حسين بن محمّد زغيب البعلبكي اليونيني، ومنه آل زغيب المعروفين

* ولد في قرية يونين من أعمال بعلبك .
* قرأ القرآن وتعلّم الخط في يونين، ثم رحل إلى الكوثرية في جبل عامل فقرأ على السيد علي إبراهيم اثنا عشر سنة ثم هاجر إلى العراق، وقرأ على الشيخ الأنصاري ست سنوات، ثم عاد إلى يونين، وبنى فيها مدرسة وباشر التدريس وتخرّج عنده جماعة، وله مصنّفات في الفقه والأصول .
* توفي في بلدة يونين سنة ١٢٩٤هـ .
* مناسك الحجّ .
* انظر أعيان الشيعة ١٥١/٦ .

السيد رضيّ الدين بن السيد محمّد الموسوي العاملي المكيّ
* ولد سنة ١١٠٣هـ .

* كما عن نزهة المجلس ولا يحضرنا أكثر ممّا سنذكره عن حياته: وكان ...
مهدّباً أديباً شاعراً فصيحاً حسن السيرة مرجوعاً إليه في أحكام الحجّ وغيره ...
والذي وقفت عليه من مصنّفات في الكلام والفقه يدل على فضل غزير كثير .

* الوسيط بين الموجز والبسيط .
 * نهج السداد في أحكام حجّ الأفراد .
 * منسك صغير: كافل لجميع الاحتياطات لم يتعرّض له في الذريعة .
 * انظر أعيان الشيعة ٢٩/٧ ، تكملة أمل الآمل: ٢٠٨ ، الذريعة ٤١٩/٢٤
 و ٧٤/٢٥ .

الشيخ زين الدين بن علي العاملي الجبعي، المعروف بـ«الشهيد الثاني»
 أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد... والتحقيق وجلالة القدر أكثر من أن
 يحصى.

* ولد سنة ٩١١هـ .
 * ختم القرآن وعمره تسع سنين ، قرأ على والده في فنون العربية والفقه إلى أن
 توفي والده سنة ٩٢٥هـ ، ارتحل إلى بلدة ميس فاشتغل فيها إلى سنة ٩٣٣هـ ، ثم إلى
 كرك نوح ، ثم إلى دمشق فاشتغل على الشيخ أحمد جابر ثم رجع إلى جُبع .
 رحل إلى مصر سنة ٩٤٢هـ قرأ فيها على جماعة من علماء السنة .
 رحل إلى الحجاز سنة ٩٤٤هـ فحجّ ورجع إلى جُبع .
 سافر إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام سنة ٩٤٦هـ ورجع تلك السنة .
 سافر إلى بلاد الروم سنة ٩٥١هـ وأقام بقسطنطينية ثلاثة أشهر ، ورجع إلى
 بعلبك ودرس في مدرسة النورية . ولا زال مشغلاً بالتدريس والتأليف حتى
 وفاته .

من أشهر مؤلفاته: الروضة البهيّة ، ومسالك الأفهام .
 * توفي سنة ٩٦٦ أو ٩٦٥هـ على اختلاف الأقوال .
 * المنسك الكبير ويسمى: كفاية المحتاج في مناسك الحاج ، طبع في هذه المجلّة
 عدد ٥ .
 * المنسك الصغير .

* نيات الحج والعمرة ذكره في الذريعة بعنوان: «نية الحج والعمرة»^(١).

* أقل ما يجب معرفته عن أحكام الحج والعمرة، طبع في هذه المجلة عدد ٣.
* انظر أمل الآمل ١/٨٦، أعيان الشيعة ٧/١٤٣،
الذريعة ٢٢/٢٦٣ و ٢٤/٤٤١.

الشيخ زين العابدين بن الحسن الحرّ العاملي

المشغري

* لم نطلع على تأريخ ولادته.

* لم يتعرّض أخوه الشيخ محمد الحرّ صاحب الأمل
لحالته سوى أنه قال: كان فاضلاً عالماً محققاً صالحاً
أديباً... وتعرّض لمؤلفاته ووفاته ومدفنه.

* توفي بصنعاء بعد رجوعه من الحج سنة ١٠٧٨ هـ
على أقوى القولين.

* المناسك المروية في شرح الإثني عشرية
الحجّية.

* انظر أمل الآمل ١/٩٨، الذريعة ٢٢/٣٧٧.

الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد

العالِي العاملي الكركي. الشهير «بالمحقق الثاني»

* ولد في كرك نوح سنة ٨٦٨ هـ.

* درس في كرك نوح بعد ترعرعه بها، وراح ينهل

(١) وقد طبع في هذه المجلة عدد ٢.

من نير العلم الصافي إلى أن بلغ مراتب عالية في علوم أهل البيت عليهم السلام، وبعدها سافر إلى مصر وقرأ على علمائها فقه المذاهب الأربعة، ثم إلى العراق إلى النجف الأشرف حيث معدن العلم حوالي سنة ٩٠٩ هـ حتى عرف واشتهر بها، وشاءت الظروف أن ظهرت الدولة الصفوية وكانت بأمر الحاجّة إلى علماء الشيعة الإمامية، فاستدعي بطلب من المملكة الصفوية. شغل فيها منصب شيخ الإسلام في عاصمتها إصفهان. أسّس المدارس والمعاهد الدينيّة.

يعتبر الكرّكي باعث النهضة الشيعيّة في إيران. وقد حكمت عليه بعض الظروف القاهرة فجعلته يهاجر إلى العراق. وكان دائماً مشغولاً بالتدريس والتأليف، له مؤلّفات كثيرة أبرزها: جامع المقاصد في شرح القواعد. * اختلف في تاريخ وفاته، والأكثر على أنه توفي سنة ٩٤٠ هـ، وقيل: إنه توفي مسموماً ودفن في النجف الأشرف.

* رسالة الحجّ، كذا في الأمل والأعيان، لكن ورد في الذريعة بعنوان: مناسك

الحجّ^(١).

* انظر: أمل الآمل ١/١٢١، أعيان الشيعة ٨/٢٠٨، الذريعة ٢٢/٢٦٩.

السيد محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي

* ولد في بلدة شقراء سنة ١٢٨٤ هـ.

* درس مقدّمات العلوم في بلدته ثم في بنت جبيل على الشيخ موسى شرارة، وبعد أن توفي الشيخ موسى هاجر إلى العراق واستمرّ في الدرس والتدريس إلى أن دُعي إلى دمشق ليكون فيها عالماً ومبلّغاً. مارس نشاطه الديني بجدية ومثابرة، أسس فيها المدرسة العلوية والمحسنية للعلوم العصرية. وكانت له آراء سبّبت له مشاكل ومعادات ومواقف سلبية من عامّة علماء وفضلاء الحوزة في النجف الأشرف.

(١) وقد طبع في هذه المجلّة عدد ٩.

سافر إلى مصر والتقى بعلمائها، وسافر إلى الحج مرتين، وله فيها مذكرات
ظريفة. زار أيضاً بيت المقدس. له مصنّفات جمّة أبرزها: أعيان الشيعة.
* توفي سنة ١٣٧١هـ ودفن في صحن الحضرة الزينبيّة في دمشق.
* مناسك الحجّ.

* انظر أعيان الشيعة ٣٣٣/١٠، الذريعة ٢٧١/٢٢.

**الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي. المعروف
بـ«البهائي».**

* ولد في بعلبك سنة ٩٥٣هـ.

* درس في بلاد العجم على والده، ثم على ثلّة من العلماء حتى بلغ المرتبة التي
يحسد عليها، ثم تزوّج بابنة شيخ الإسلام بإصفهان، وبعد وفاته تولّى منصبه
ففوضت إليه مقاليد الأمور. يُعد من الطبقة الأولى في عصره، اشتهر بإمامه بعلوم
وفنون مختلفة، له آثار معمارية لازالت قائمة في إصفهان، ومؤلفاته كثيرة في مختلف
العلوم. أشهرها: «المخلاة» و«الحبل المتين».

* رسالة في الحجّ، وتسمى: «الإثنى عشرية الحجية». وهي التي شرحها
الشيخ زين العابدين الحرّ.

* انظر، أمل الآمل ١٥٦/١، أعيان الشيعة ٢٤٤/٩. الذريعة ١١٥/١.

السيد محمد جواد الحسيني العاملي «صاحب مفتاح الكرامة»

* ولد في قرية شقراء من قرى جبل عامل حدود سنة ١١٦٤هـ.

* درس مقدّمات العلوم في جبل عامل ثم هاجر إلى العراق، فدرس في
كربلاء على صاحب الرياض، ثم المحقّق البهبهاني إلى أن اشتهر فضله فذهب إلى
النجف فقراً فيها على السيد مهدي بحر العلوم والشيخ حسين نجف.

بقي في النجف عاكفاً على التدريس والتأليف. له مصنّفات كثيرة أشهرها:

«مفتاح الكرامة».

* توفي في النجف الأشرف سنة ١٢٢٦هـ، ودفن في بعض حُجَر الصحن الشريف.
* رسالة حَقَّق فيها مسألة جواز العدول عن العمرة عند ضيق الوقت إلى
الإفراد.

انظر أعيان الشيعة ٢٨٨/٤ تكملة أمل الآمل: ١٢٦.

الشيخ محمد تقي يوسف الفقيه العاملي الحاريسي

* ولد في بلدة حاريص من جبل عامل سنة ١٣٢٩هـ. درس مبادئ القراءة
على الكتاتيب على الشيخ حسن سويد، ثم درس مقدّمات العلوم مع أخيه الشيخ
علي علي والدهما وآخرين، ثم ارتحلا إلى بلدة شقراء، فدرسا على الشيخ حسين
عبد الله غريب.

وفي سنة ١٣٤٥هـ، هاجر إلى النجف وبدأ من دراسة الألفية ومغني اللبيب
وغيرها من الكتب الدراسية، ثم بدأ يتسلسل في المراتب العلمية حتى حضر
الدروس العليا على جمع من العلماء، واختصّ أخيراً بالسيد محسن الحكيم ولازمه
ملازمة شديدة وكان من المقرّبين إليه والمحبوبين لديه، وفي أثناء هذه المدّة شغل
منصب المرشد الديني في بلدة قلعة سكر في العراق، حيث كان وكيلاً من قبل السيد
الحكيم هناك، أنشأ مدرسة علمية بمساعدة جمع من أهل الخير للطلبة العاملين في
النجف الأشرف، حاز على رتبة الاجتهاد من السيد الحكيم وغيره، ثم عرضت له
ظروف عاد على إثرها إلى لبنان، سكن أواخر أيامه مدينة صور وبلدة حاريص
إلى أن وافاه الأجل. له مؤلّفات عديدة أبرزها «مناهج الفقيه».

* مناسك الفقيه^(١).

* مباني المناسك^(٢).

انظر علماء ثغور الإسلام ٢١٦/١.

(١) يتناول مسائل الحجّ.

(٢) فقه استدلالی.

الشيخ محمد بن مكّي العاملي الجزيني المشهور بـ«الشهيد الأول»
* ولد سنة ٧٣٤هـ.

* قرأ أولاً على علماء جبل عامل ثم هاجر إلى العراق فقرأ على فخر المحققين، بقي فيه خمس سنين ثم رجع إلى دياره وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ويظهر من بعض إجازاته أنه كان قد سافر إلى أكثر من بلد كمكة والمدينة وبغداد وبيت المقدس ودمشق، والأخيرة هذه كان كثير التردد إليها فقرأ على علماء هذه المناطق المذكورة واستجازهم، قضى عمره في خدمة المذهب الشريف إلى أن وثى به من ليس له باع في الدين عند قاضي الشام الذي هو أسوأ حالاً من الواشي، وشهد آخرون زوراً، وقتل بعد أن قضى في الحبس سنة كاملة ثم أحرق. له مصنّفات جلييلة مشهورة لدى العلماء، من أبرزها: «الدروس» و«البيان» و«اللمعة».

* توفي سنة ٧٨٦هـ قتلاً بالسيف بحكم القاضي المالكي.

* المنسك الصغير، المسمى بـ«خلاصة الاعتبار في الحج والاعتماد»، طبع في

هذه المجلّة عدد ٦.

* المنسك الكبير. نقل عنه الشهيد الثاني في الروضة وعبر عنه بـ«رسالة الحج».

انظر أمل الآمل ١/١٨١، أعيان الشيعة ١٠/٦٢، الذريعة ٢٢/٢٧٣.

السيد موسى بن عبد السلام الموسوي العاملي

* لم يعرف تأريخ ولادته.

* نشأ في العراق وقرأ الدرس فيه، كان له باع في الفقه والأصول وعلوم العربية لكن تغلب عليه فيما بعد الشعر والأدب، زار أمراء جبل عامل مراراً ورجع إلى العراق ومدحهم بأشعار كثيرة.

لم نحصل عن سيرته أكثر من هذا. له مصنّفات منها رسالة فيما انفردت به الإمامية من المسائل الفقهية.

* توفي في النجف الأشرف سنة ١٢٦٥هـ نقلاً عن بغية الراغبين، وفي الأعيان

١٢٥٣هـ.

* مناسك الحج.

انظر تكملة أمل الآمل: ٤٠٧، أعيان الشيعة ١٠/١٩٠، الذريعة ٢٢/٢٧٤.